

حي طارق.. منتصف حزام الفقر حول بغداد المياه الأسنة والطرق الوعرة والأزقة المتربة ابرز ملامحه



بين المياه الملوثة



معوق وعاطل



الامل

انطلقنا من مركز العاصمة بغداد وتصديدا شارع السعدون الى هدف حدادنا مسبقا (حي طارق)، ولكي نجتاز الحبيبية والاورهلي لايد من ان نسلك شارعا مستقيما بدا لنا مقطع الاوصال، اجزاء منه مهيبة، واخرى مخزية (لا ادري هل التخريب كان يفعل فاعل ام بسبب تاكل اسفلته الذي عفا عليه الزمن حتى شاخ وهرم واسلم نفسه لرحمة الزوال؟)، وترايبه كان الحضارة والتقانة والحداثة لم تقريه، ولم تصل اليه بعد، بيوت توزعت على جانبيه اهله يعيشون خلف التاريخ وهم يفترون من عبور حاجز العقد الاول من الالفية الثالثة. هذا هو المشهد الاول، المشهد الاخر عند بوابة حي المنتظر، سوق عضة اتخذت مجاري لتصرف المياه الثقيلة، تقطعها انابيب مياه الشرب البلاستيكية (الصوندات)، فضاءاتها اضحت مكبات للنفايات والازبال، حسبها اول هلة متقطعة طمر صحي، او هي اطلال مضارب يدو عصفت بهم الصعراء حينما ضمت عليهم السماء بالقيث.

بغداد / شاكر المياح

تصوير: سعد الله الخالدي

بين حين وآخر الى تكسرات، ومنها تتسرب المياه الثقيلة بسبب قدمها والان هناك شبكة جديدة في طور التنفيذ فيما نستمر بالضخ على الشبكة القديمة لحن اكمال اعمال مد الشبكة الجديدة، اما المحلات (١٠٧ و ١٠٦ الانفس او عن طريق تحميل براميل يتم ملؤها من المحطة مباشرة ونقلها على ظهور الحمير، المحطة تعمل على مدار الساعة من دون توقف، الا ان الاشكالية تكمن في اطلال (الصوندات) التي تمتد لمسافات طويلة تصل في بعض المحلات الى اكثر من كيلو متر.

من اين يتم تجهيز المحطة بالماء؟
- من نهر دجلة وعبر قناة الشرطة والشارت، والروائح التي تنتشع بها مياه الشرب سيبيها تكسر الانابيب الناقلة سواء تم هذا من قبل المواطن ذاته حينما يروم ربط (صودة) منزله بالانابيب الرئيس ام نتيجة كسر تلقائي، ولاسلف فان بعض المواطنين يتصرفون بشكل فردي من دون مراعاة لايمة الشبكة او الجانب الصحي وانما احمل هؤلاء مسؤولية الاضرار التي تلحق بالشبكة.
كم هي الطاقة التصريفية للمحطة؟ السعة التصميمية لها هي ٢٠٠ متر مكعب في الساعة، ربما لا تكفي للمحطة مستقبلا لانها اخذت بالانحسار وحاليا لدينا ستة قطاعات، وكل قطاع يشتمل على الف بيت ما عدوا رعا المتواجزين والغمامة) واصحاب المواشي.

أصل الاشكالية
احد المواطنين رفض الكشف عن اسمه قال: اصل الحكاية، ان المنطقة كان يملكها احد ازم النظام السابق كارض زراعية، الا انه في غلظة من الزمن جزأها الى قطع صغيرة (بونصات) ثم باعها للمواطنين على وفق هذه الطريقة، ثم راح المواطنون الذين ابتاعوها منه الى فرزها الى قطع اصغر وهكذا تحولت وبعرو الزمن الى منطقة سكنية، ثم تنامت واتسعت تدريجيا لتصبح بهذه الصورة المشوهة. وبعد الاطاحة بالنظام السابق انشئت فيها مناطق سكنية عشوائية عديدة، بعضها تحت خطوط نقل الطاقة الفائقة (١١ الف كيلو فولت) مما يعرض سكانها الى مخاطر دافئة، فضلا عن تقسيمها الى مساحة صغيرة جدا، وهذا يربك القطاع الخدمي المخصص للمنطقة.

الكلاب السائبة تفترس الاطفال
المختار (ابو حيدر) تكرر ان الكلاب السائبة افترست وقبل مدة ثلاثة اطفال مرة واحدة، وفي احد الايام كانت امرأة تصطحب ابنتها فهاجتها اربعة كلاب سائبة ولم تستطع مقاومتها فحشاوش طفلها ذا الاربعة سنوات، وبعد صراع استمر لآكثر من نصف ساعة افترسته اسام عينيتها وكلاب اخرى تأكل جثث الاطفال الموتى المدفونين في المقبرة. اما الامراض الشائعة في المنطقة فهي (ابو صفار، والاسهال المعوي، والسل وبعض الامراض السرطانية) والتي تنجم من تلوث الهواء بمخلفات الرصاص التي تنثها مداخن معامل الطابوق، وعند هطول الامطار يتغير لون الماء الى اللون الاسود، فضلا عن ازدياد وفيات الاطفال. وبدورنا وزعنا على جميع البيوت ايكاسا بلاستيكية مخصصة للنفايات غير ان البعض منهم باعها او استخدمها لغير تلك الأغراض، كما تم توزيع ١٠٠٠ مصفى للماء بدعم من قوات الجيش المتواجدة في المنطقة ومنظمة الهلال الاحمر فضلا عن المواد الغذائية المختلفة.

حب بين النفايات
المختار (ابو علي والملازم الاول حمود) رويها لي قصة حب طريفة، وكالاتي: جاعنا رجل ادعى ان ابنته البالغ عمرها خمسة عشر عاما قد جرى اختطافها من شاب عمره تسعة عشر عاما يعرفه، وبعد التحري الفوري والمداهمة السريعة تم تحرير الصبية المختطفة والقاء القبض على الخاطف الذي اعترف بفعلته مدعا ان علاقة حب بريئة قد توالت بينهما قبل عدة اشهر، اما الفتاة فقد اعترفت في الاخرى بهذه العلاقة البريئة وطلبت منا عدم ضرب حبيبها (علاوي) او الحاق الاذى به. تلك مدعى من سمات حي طارق ناهيك عن الجهات العشائرية المسلحة التي تشجّر بين اونة واخرى.

وبهتمي الصحفية، اعتذر لي عن نكر اسمه، غير انه انبأني بوظيفته قائلا: انا مدرس فيزياء، قيادته بالسؤال التالي: هل كل ما يقوله المواطن عن تردى الخدمات بهذا الشكل المساوي صحيح وحقيقي؟ - يتسم قبل ان ينطق بالمفرمة الاولى: في العراق.. وتحت سطوة الديكتاتوريات التي تعاقبت على حكمه، اعتاد المواطن خالها على ان تكون الحكومات هي المسؤولة عن تقديم كل ما يحتاجه (خدمات، وخدمات، وخدمات، تسهيلات تجارية وصناعية وجرائية)، وحتى اولئك الذين يحتالون عليها بمختلف الاعاءات والترافع من دون ان يعوا ان الدولة، اية دولة تتعامل مع مواطنيها على وفق القوانين التي تشرعها، خذ مثلا: قوانين الدولة العراقية المعاصرة منذ تأسيسها عام ١٩٢١ وحتى الان تمنع التجاوز على الاراضي الاميرية (اي تلك التي تعود ملكيتها للدولة)، والقوانين التي تلحقها بعد الجمهورية الاولى التي منعت تحويل الاراضي الزراعية الى اراض سكنية. ومع ما في هذه القوانين من عقوبات رادعة، الا السلطات التنفيذية حالت دون تحقيق الغرض التشريعي من هذه القوانين بسبب فساد ادارات الدوائر المعنية، وما نحن وبعدها التغيير تحصد ما زرعه الفساد، احياء سكنية تتكاثر وتكسر خلافا للمنطق الحضاري الكريمة، ناهيك عن رمي النفايات والسكراب والبراميل المستهلكة فيها، وسيبها اصيب العديد من المواطنين بامراض مختلفة، اهونها الاسهال المعوي، وبعد تحليل المياه المخصصة للشرب اظهرت نتائج الفحص ان ٧٥% منه غير صالح للاستهلاك البشري، وهناك نقص كبير في اعداد المدارس، باستثناء مدرسة واحدة انشأتها منظمة الانسانية المانية تسمى منظمة (القبعات الخضراء)، كل صف فيها يشتمل على ٦٥ طالبا، مرشحة للزيادة في العام الدراسي الحالي مما يضطر المعلم ان يخرج من الصف يوميا خمسة عشر طالبا على التوالي ليعم استيعاب الصف لمل هذا العدد من الطلاب ونطالب وزارة التربية بتهيئة كرفانات تتخذها مدرسة تخفف من الزخم الحاصل في الوقت الراهن حتى وان كانت بشكل مؤقت. المواطن (جبار الكعبي) صاح باعلى صوته: (زيد كيرباء، وزيد ماي جينبه، وزيد هم يسلون هاي الخميسة (الجوية) وفوق ضيم ييلو الملامسة)، احد المواطنين عقب قائلا: في هذه (الجوية) لا يذبحون الاغنام او الابقار، انهم يذبحون كل انواع الحيوانات.

ويضيف: ان لم يوفروا لنا الخدمات ويرفعوا معاناتنا لن نشارك في الانتخابات، السابقون الذين انتخبناهم لم يقدموا لنا شيئا، بل زاولوا في معاناتنا، وامعنا في افقارنا، نحن نغرق في المياه الاسنة وهم ينعمون برواتب خرافية وحبية مترفة، من يرضى بهذا؟ عضو المجلس البلدي (ابو احمد) تحدث عن استتباب الوضع الأمني بفضل جهود ضباط ومراتب اللواء ٤٤ الذين يصلون الليل بالنهار من اجل بسط الامن واستقراره رغم البطالة المستشرية بين اوساط الشباب.

حي المنتظر ومقبرة الاطفال
على مقربة من حي المنتظر مقبرة للاطفال تحوي ما يربو على ١٥٠٠ قبر وهي في اتساع، (ابو احمد) تكرر ان ارضها اتخذت مقبرة منذ سبعينيات القرن الماضي، وهي ليست خاصة بحى المنتظر، بل هي مدفن للموتى من الاطفال يقصدها مواطنون من مختلف المناطق (مدينة الصدر، وبغداد الجديدة وغيرها من المناطق)، وهي ما تزال على حالها منذ ذلك التاريخ وهي تكبر يوما بعد اخر.

مشرف محطة الماء الوحيدة في المنطقة (عبد الزهرة شمخي) قال: اسم المصخة محطة ضخ حي المنتظر، وشبكة الماء الحالية تتعرض حيوانات في البيوت

مواطن يتوزعون على ستة الاف وخمسائة دار سكنية بمعنى ان كل دار يعيش فيها ٢٨ فردا. اما المحلات التي تصلها مياه الشرب ومجهزة بالتيار الكهربائي هي: ٥٧٥ و ٥٧٧ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ وكذلك محلة (ام البنين) التي تقع في الطرف الشرقي من الحي، كما لايسبغ الخدمات، خذ مثلا الاسلاك الناقلة للطاقة الكهربائية تتعرض وبشكل يومي الى قطوعات مستمرة تشكل خطورة على ارواح المارة والمواطنين الاخرين، فضلا عن تردي شبكة مياه الشرب، والماء الذي يصلنا يحمل روائح نتنية، ناهيك عن افتقاره الى شبكة الصرف الصحي (مؤشرا بيده): انظر الى هذه الساقية التي تحمل البتا العديد من الامراض، فاذا ما تعرضت للانسداد فان المياه الثقيلة ستسبب عبر البيوت، ويتداخل معه زميله الاول قائلا: المنطقة رمتها كانت ارضا زراعية تم بيعها على اساس الطابو الزراعي (كل خمسة تومات بسند واحد) ونحن الان بصدد اخذ الاققات الرسمية لتحويلها الى اراض سكنية، ومساحات البيوت تتراوح بين (١٠٠ - ٣٠٠ متر مربع) ويسبب الانتشار العائلي وصلت مساحة بعض الدور الى (٥٠ مترا مربعا).

مدرستي بعيدة.. والوحد نصيبني
كان يتبعني مثل ظلي، نظرت اليه فشعرت بان لديه ما يقوله فسألته عن اسمه فرد بان اسمه (حسين عبد الامنة) في الصف الرابع الابتدائي مدرسة قطاع ٢٩، وهي بعيدة عن بيتنا، هكذا قالها باستكائة واضحة، والمسألة بينهما اكثر من خمسة كيلو مترات بالقرب من جامع (زين العابدين) وبدوام فنانتي (مدرسة الشير، والغرابي) وهما مختلطان (بنين وبنات)، وحينما ينزل المطر تنتقل (جزمات) للوصول الى المدرسة، ومثلنا نترلقان فنقعا في الوحد، وفي نهاية السنة الدراسية تكون ملابسها قد بليت من كثرة الغسيل، الشتاء يحمل لنا الطين والوحد، وصيفنا متخمش بالغيبار والاربع التي تتصاعد اثناء مرور الحجلات.

كلابه السائبة تفترس اطفاله ومواشيه ناقلة للأمراض
رصدته من بعيد، بعدما تجرل من سيارة (الكيا)، شابا انيقا ببدلة عصرية متماهية اللون مع قميصه وربطة عنقه، صف شعره بعناية، ندوت منه تدريجيا، حتى صرت بمواجهته فاستوقفته وعرفته بنفسى الابوة. رصده من بعيد، بعدما تجرل من سيارة (الكيا)، شابا انيقا ببدلة عصرية متماهية اللون مع قميصه وربطة عنقه، صف شعره بعناية، ندوت منه تدريجيا، حتى صرت بمواجهته فاستوقفته وعرفته بنفسى الابوة.

مقبرة المنطقة

حيوانات في البيوت

المنطقة ان يضطر التلاميذ لقطع المسافة بين المدرستين الوحيدتين والتي تبلغ اكثر من خمسة كيلومترات سيراً على الاقدام نهابا وايابا- زميله (رافد محمد) داخله قائلا: عدد نفوس حي المنتظر اكثر من ١٧٠ الف نسمة وهو مرشح لان يضاعف تعداد مواطني مدينة الصدر مستقبلا، وهو يعتقد ان المنطقة تفتقر الى الخدمة الصحية، اذ لا يوجد اي مستوصف او مركز صحي، ونعتقد في هذا على مستشفيات مدينة الصدر.

كان يتبعني مثل ظلي، نظرت اليه فشعرت بان لديه ما يقوله فسألته عن اسمه فرد بان اسمه (حسين عبد الامنة) في الصف الرابع الابتدائي مدرسة قطاع ٢٩، وهي بعيدة عن بيتنا، هكذا قالها باستكائة واضحة، والمسألة بينهما اكثر من خمسة كيلو مترات بالقرب من جامع (زين العابدين) وبدوام فنانتي (مدرسة الشير، والغرابي) وهما مختلطان (بنين وبنات)، وحينما ينزل المطر تنتقل (جزمات) للوصول الى المدرسة، ومثلنا نترلقان فنقعا في الوحد، وفي نهاية السنة الدراسية تكون ملابسها قد بليت من كثرة الغسيل، الشتاء يحمل لنا الطين والوحد، وصيفنا متخمش بالغيبار والاربع التي تتصاعد اثناء مرور الحجلات.

مقبرة المنطقة

حيوانات في البيوت

الاقرب الى الخرافة او الاسطورة. ويطل حي طارق يحبو باتجاه من يلمس له العافية ويبد له يد العون والاقاناد. لم تكن لنصل الى هذه الاحياء لولا تلك الهمة العالية، والشعور الوطني، والتعاون المخلص الذي حطينا به نحن كادر (المدى) من لدن منتسبي الفوج الاول من اللواء الرابع والاربعين التابع الى فرقة المشاة الحادية عشرة، أمرا وضباطا ومراتب، ولما ابوده من حماس لمراقفتنا، والاجمل ان هذا قد حدث صابرا، ومن دون موعد سابق، نعم كان محض مصادفة، والاجمل ايضا تراسيم وجهه متنسبي ذلك الفوج وذاك اللواء التي كانت على قدر من السماحة والبشر، لن اسبغ احدنا بل اقول بصدق وامانة وبشرف مهني، كلهم كانوا ارعئين ومخلصين، وهم الذين مهدوا لنا سبل الوصول الى قيعان احياء الفقراء.

البداية.. أمام حضارة البوكلايين
قادنا (الملازم الاول حمود وصحبه) لتتوقف عند نقطة تفتيش مدخل (حي المنتظر)، لما ابصرنا حفارة علافة من نوع (بوكلاين) وقد انهمك ربايتها بحفر خندق لم تكن تعرف ماهيته، وقد احاطت بها جمهرة من الناس (اطفال وصبيان وشباب ورجال وشيوخ) وقد تداخلت ازيائهم مع بعضها الوانا واشكالاً (تراكات، شيرتات، شاديشي، يضايب وعكلا، وشورتات) وهم يرقبون حركة الحفارة، نازلة، صاعدة، الازويت بثلاثة شبان اولهم (محمد فالح والي): من اطلق عليه اسم حي طارق؟

من اطلق عليه اسم حي طارق؟ - لا العرف من سماه بهذا الاسم، لاننا ومنذ وطئت اقدامنا ارضه وهو يحمل هذه التسمية، مشكلتنا الاساسية تتمثل بعدم وجود شبكة مياه الشرب، وشوارع وازقة المنطقة ما تزال لحد الان متربة وغير مطبقة فهي مغبرة ومتربة صيفا، وغارقة في الؤحال والاطيان شتاء، والاكثر تأثرا بهذا الواقع هم الاطفال وتلاميذ المدارس، والاشكالية الاخرى هي بعد المدارس عن

مقبرة المنطقة

حيوانات في البيوت

سنة الاف منزل، هكذا ازم، بعضها يشبه (اقتان السباب) والبعض الاخر منها ليست سوى جحور او كهوف لا يراها الناس من برد وغبار، استاجروها ببلغ خمسين الف دينار شهريا من آخرين غلقت قلوبهم، وتلاشت في اعناقهم خصال الانسان الاممية، ربما المستاجرون استسهلوا مبلغ الاجبار، او هم سكنوها تبعا للقول القديم (مرغم اخاك لا بطل).

في حي طارق، مواطنون يتعاطشون مع الخيول والحمر والاعنام والابقار بحميمية، لانا بعض وسائل رزقهم ومعاشهم اليومي هذه صورة للمساخة الاوسع من هذا الحي، والصورة الاخرى التي تمثل مفارقة غريبة ومثيرة في آن واحد، تلك المنازل الفاخرة التي انشئت على وفق احداث التصاميم المعمارية (ديل فالوم) وبأجلى الزخارف والتلاوين التشكيلية التي تضاهي دور الاوروبيين او على غرار بيوت الخليجيين، لوحة سرديالية مبدئية وعلى الواقع الازلي، غير انها تختلف تماما، فاللوحة السريالية التشكيلية يكتسب جمالا ومعناها بريشة فنان يمتلك الوعي والثقافة والذوق.

لوحنتا (الطارقية) خربية لسطح الارض وما عليها من زرع ونبات ومشووه لها، فقناة الشرطة التي اريد لها ان تكون معلما نزهويا تغذيها مياه دجلة الخير، امتست اليوم ثلاثة مستنقعات اجتمعت فيها كل روائح العالم الكريهة التي تهتف للموت والانقراض، ودوبان الاجساد والانفاس في آتون الغبار والتلوث البيئي والزحار.

مايكروبات، جراثيم، فايروسات، هي كل ما تخترنه صدور ويطون وأعين واجساد ابناء هذا الحي المبني بشئتي الابتلاءات، ووجهه الاطفال مصفرة، وشاحبة لدى الشبان، ومغبرة وكثبية هي وجوه الكهول والشيوخ والعجائز، فالذي يواسي ابناء حي المنتظر، هم ابناء حي (الرضاء)، ومن يواسيها معا هم ابناء حي (الحبيبية).

احياء تالصلقت ببعضها، ثم تكاثرت كما (الاميبيا)، تكاثرا انشطاريا غير معقول هو

طفولة صائفة



النقل (الحديث)